السُرْفَة

(تابع ما قبلهُ)

٢ السرفة بمعنى القَتَع وهي دودة الخشب المعروفة عند الانكليز باسم Xylophagan او Xylophagus وعند الفرنسيس باسم Xylophage

قد مرَّ بك في صدر هذه المقالة ان السرفة تأتي ايضاً بمعنى الدويبة الصغيرة التي تثقب الشجر وتبني فيهِ بيتاً والاحسن ان تسمَّى بالقتَع في هذا المعنى . قال ابن سيده في المخصَّص ٨ : ١٢١ « القتَع : دود حمر تأكل الخشب واحدتهُ قتعة قال :

غداة غادرتهم قتلى كانهمُ خُشُبٌ تقصَّفُ في اجوافها القتعُ »

وقد سمَّاها الافرنج بالاسمين اللذين ذكرناهما في عنوان هذا الفصل

ومن هذه التسمية يتضح لك ان القتع اسم عام يشمل جميع انواع الدويبات التي تأكل الخشب وتعيش فيهِ وتتخذ لها فيهِ بيتاً . ومن ذلك ترى ان اللفظة تقع على عدة انواع لا تحصى الاَّ ان علماء الحشرات قد خصُّوها بجنس وقبيلة من الثنائيات الاجنحة من فصيلة الشوكية الظهر وبجنس وفصيلة من الغمدية الاجنحة من رتبة الرباعية الاجزاء او المفاصل وها نحن ذا نذكر هنا ما يتعلَّق بكل هذين الجنسين

اما السُرَف بمعنى القتع الغمدية الاجنحة الرباعية المفاصل فاوصافها انها قريبة الشبه من سوس القطاني بنيتها المركَّب تركيب فم السوس المذكور الاَّ انها تمتاز عنهُ بهيئة رأسها فانهُ لا يمتدّ الاَّ قليلاً و يقرونها وهي تكون فيها دائماً اقصر مما في سوس القطاني وانتفخ عند طرفها . وفيها احد عشر مفصلاً في الاكثر . وهذه الغمدية الاجنحة وان كانت صغيرة القدّ فانها مضرة غاية الضرر اذ يعيش اغلبها في الخشب ودودها يثقب الاشجار ويخدّها الخدود في جهات مختلفة . وهو لا أرجلَ لهُ ولونهُ ضارب الى البياض

على ان راتزبرغ (Ratzeburg) يذهب الى ان لكل نوع من انواعها ضرباً من الدهاليز واذا رآها العارف بها يعلم لحال النوع الذي ترجع اليهِ . واذا كثرت ديدان هذا الجنس في غابة ولاسيما في غابات الصنوبر والتنُّوب والشوح والشربين فانها تتلف في بضع سنوات طائفة عظيمة من الاشجار ولا يعود احد ينتفع بها البتة في اي صناعة كانت . ومن هذه الانواع ما يؤذي اشجار الزيتون اشدّ الاذية ومنها ما يأكل الفطر . هذا والانواع التي تتقوَّم منها هذه الفصيلة عديدة وقد قسمها احد الباحثين وهو لترييل (Latreille) الى ثلاث قبائل وهي

١ تسمّى العمدية الاجمة الموجودة في القبيلة الاولى من هذه القبائل « المخرّقات » (Scolytii) وتُعرف من قرونها اذ فيها عشرة مفاصل في الاكثر وتنتهي تارة بمنكة وطوراً تنشأ من اصلها بمنكة اسطوانية مخترقة وتكون محاسّها مخروطة وسوقها المتقدمة مسنّنة في الغالب وفيها صيصية عقفاء قوية بعيور (جمع عير وهو tarse) من شأنها التخرّي . ومفصلها الذي هو قبل المفصل الاخير ثنائي الفصّ في الغالب وبيئة قلبر

والجنس الاعلى فيها يسمّى « المخرّق Scolytus » ومنهُ اسم هذه القبيلة . وفي مختلف انواعه نوعان مضرّان غاية الضرر بالخراج اسم احدهما «المخرّق المدمّر Scolytus destructor» طوله من ٥ الى ٦ ملمترات . لونهُ اسود لمّاع مع غمدين وارجل شقراء ناصعة اللون . واسم ثانيهما « المخرّق الدحدح او القزم Scolytus pygmæus » وهو اصغر من الاول وفي غمديه شُطَب وطرائق اكثر مما في غمدي الاول . ويهجم الاول على الاشجار المغروسة في الطرق العامة وفي البساتين . ويتعرّض الثاني للسنديان والبلّوط . وقد ذكر الاستاذ بلشار (Emm. Blanchard) ان في سنة ١٨٣٧ اضطر البار يسيون ان يقطعوا من غابتهم غابة قسن Bois de Vincennes مقدار ٢٠٠ و ٢٠ سنديانة يتردّد عمرها بين ٣٠ و ٤٠ سنة وقد اتلفتها كل الاتلاف هذه الدويبة الخبيثة . والجنس المشهور باسم « الغيلية Hylesins » المشتقة من مثالهِ الاعلى Hylesins fraxini اي غيلية شجرة الدلب العصافيري دويبة سوداء الى الرمدة . يكثر وثوبها على اشجار الصنة العصافيز وفي الجنس المشهور باسم « المتأجمة Hylurgus » تذكر « المتأجمة عاشقة الصنوبر Hyl. pinipendus » وفي الجنس المشهور باسم « القاطعة Tomicus » تنوّه باسم « القاطعة الطابعة Tom. typographus وكلا الجنسين من اعظم البلايا على غابات الصنوبر في شمالي اوربا . واما جنس « المعرّية Pansus » فانهُ يمتاز عن سائر المخرّقات بفصول بائنة تحدّث ابناء الحشرات الى ان يفرقوها عن اخواتها بفصيلة قائمة بنفسها

٢ قبيلة ذوات السبيبة Bostrichii وتعرف كالسابقة من قرونها وهي متقوّمة من عشرة مفاصل الاّ انها تمتاز عن اختها بمحاسها اذ تراها اما بثخن واحد من اولها الى آخرها واما مبسطة عند اطرافها وتكون مفاصل عيورها تامة دائماً . ومن مشتملات هذه القبيلة « ذات السبيبة Bostrichus » وانواعها عديدة . ومثالها الاعلى « ذات السبيبة التبغية Bos. capuccinus » طولها ٤ ملمترات ولونها اسود وغمداها وبطنها حمراء وهي كثيرة الوجود في ديار العراق والشام وجنوبي اوربا . ولدودتها التي تعيش في الآجام والخراج ارجل قصيرة

صغيرة دقيقة ذات حراشف او فلوس والجنس المعروف باسم « القس Cis » لا يشمل الا انواعاً صغيرة كل الصغر تطوي ايام وجودها في فطر الاشجار ولاسيما الاغاريقون والعُرْهُون وما شاكلها ويضرب لون قِلِّ العُرْهُون الى السمرة . واما لون قرنيه وارجله فاسمر اوضح وغمداه أحمر شان . والمثال الاعلى للجنس المعروف « بالخيطي الجسد Nemosoma هو الخيطية الجسد المستطيلة » وهي تأوي الى تحت لحاء اشجار الدردار والزان لكنها قليلة الوجود في البلاد المعتدلة الادم وتكثر في بلاد المانية ومن اوصافها انها دقيقة الجسد كالخيط وقرناها كالفلكتين يجازهما قرناها ورأسها طويل

٣ واما القبيلة الثالثة من قبائل القتع فتمتاز بوجود احد عشر مفصلاً في قرونها وكلها بيّنة بعضها عن بعض والجاس خيطية الشكل وجميع مفاصل عيورها تامة كاملة . والاصل الاعلى لجنس « اللقيط Lyctus هو اللقيط المشطّب L. canaliculatus » طوله ٥ ملليمترات ويعيش في الايك . ولونهُ احمد الى السمرة بشطبٍ عميقٍ في صدره . وفي جنس آكلة القمح او جنس السالتة Trogosita نذكر السالتة المغربية T. caraboides طولها ٧ ملليمترات يضرب لون ظهرها الى السواد . واما لون بطنها فاسمر واضح وغمداها مشطبان . وتكون هذه الدويبة في الجوز والخبز ولحاء الشجر وتعرف دودتها عند اهل بروڤنسة من اعمال فرنسة باسم كاديل Cadelle ويسميها الفرنسويين شقريت برون Chevrette brune وهي تتعرّض للحبوب ولاسيما للحنطة المخزونة في الاهراء . والانواع الراجعة الى جنس البيطوم Bitomus وقليدي Colydium تسكن كلها تحت لحاء الاشجار ولا تخرج عنها ومن امثلة هذين الجنسين البيطوم المشرّفة او ذات الشُرَف والقليدي المخدَّد وطول هذا الاخير ٦ ملليمترات ولونهُ احمد ولهُ غمدان مشطبان ومرقطان مع اربعة اخاديد طويلة على طول صدره . وآخر اجناس هذه القبيلة آكلات الفطر وبلسان العلم Mycetophaga واسمها يدل على محل وجودها وطعامها . وفيها آكلة الفطر الرباعية النُكَت طولها ٦ ملليمترات ويضرب لونها الى السواد مع نكتتين صفراوين على كل غمد

وفصيلة العريضات او المفلطحات الجسم التي صنّفها لتريل بعد القتع المذكورة يدنو شبهها كل الدنو من القتع الحقيقية بشريحها واخلاقها . الا ان الدويبات المعدودة في هذه الفصيلة تبين عن القتع بقرونها اذ هي فيها اطول لكنها بضخامتها او ارق منها عند طرفها . وتبين ايضاً عنها بجسدها المندغم المستطيل وبصدرها الذي يكاد يكون مربعاً وهي تستتر تحت لحاء الشجر وتكاد ترجع كلها الى جنس واحد هو جنس الككوُيُر المدغم Cucujus deprimatus

ويوجد في اسوج والمانية وموطن سائر الانواع اميركية ودون رأس هذه الدويبة ومقدم صدرها وغمديها احمر على حمرة وسائر جسدها اسود ويتطاير من هذه الدويبات شرر ولهذا تتخذها سيدات پيرو حُليّ تزيد بها صباحة وجوههن صباحةً

ومما يقع عليه اسم القتع دويبات اخرى عديدة تعيش كلها في الخشب منها الاجناس التالية وهي: الأيليّة Lucanus cervus وسميت كذلك لان لدويبتها الكاملة نوعاً من القرون المشعبة او المسننة تشبه بعض الشبه قرون الايل وتعيش دودتها في الخشب القديم وعروق الاشجار التي تصيرها كالهباء وهي تكون في اوربا واميركا وجاوة . تسمّى ايضاً الجُعَل الأيليّ او جُعَل الخشب

وذوات المنشار Prionus وهي دويبات قاتمة يذكرك شكلها شكل الجعَل الأيليّ المتقدم ذكرهُ وذوات المنشار لا تخرج من مساكنها الا العشاء واما في النهار فتبقى مختفية في الاوكار التي حفرتها في الاشجار في حالة الدود وفي هذا الجنس اكثر من ٦٠ نوعاً طعامها كلها دقيق الخشب

والحسناء Callidium ويعيش دودها في الخشب ايضاً وهي اذا تكامل خَلْقها تطير بسهولة واذا اقلقتها اسمعتك دويّاً خاصاً بها يحدث من حك مقدم الصدر باصل مجنّ الظهر وهي كثيرة توجد في اغلب البلاد المعتدلة الهواء . الى غير هذه الاجناس وما ضاهاها

وكذلك يقع اسم القتع على اجناس الدقّاقة او ذات المثقب او قمل الخشب وبلسان العلم Anobium وهي من الغمدية الاجفنة من فصولها العامة انك اذا مسستها تماوتت ومنها اسمها عند العلماء ومعناهُ العديمة الحياة وحينما تكون دوداً تحفر الخشب حفراً تخالهُ قد حُفر بالمثقب ومن ذلك اسمها الثاني « ذات المثقب » وهي تسمعك في ايام هيجها جرساً شبيهاً بتكتكة او طقطقة الساعة الكبيرة وتصدر هذا الصوت بان تضرب ضرباً عنيفاً مشفريها على الخشب ويتشاءم العوام من الافرنج بهذا الصوت حتى انهم يسمون هذه الدويبة ساعة الموت . وهذا الجنس يشمل زهاء خمسة عشر نوعاً اشهرها مثالها الاعلى وهو الدقاقة المرقطة

وبارودة او برّادة الخشب Xylotrogus ويسميها الفرنسيون Lime-bois ويسميها العلماء ايضاً Lymexylon وهي دويبة مستطيلة الجسم قصيرة التأشيرين ذوي سنّين تعيش دودتها في الخشب وتنقبهُ في جميع الاوجه وهي تضر اعظم الضرر بخشب الادوات البحرية

ومن القتع ايضاً بعض الدويبات المعروفة باسم السِّس Sesia لا كلها . والسِّس دويبة تكثر في الديار المعتدلة الاديم العليلة السير طويلة الجناحين ضيقتهما شفافتهما ويكاد بطنها يكون اسطوانياً وفي طرفهِ هُلْبة كثة او خفيفة وطعامها أرْي الازهار وعصارتها

واما دودها فيأوي داخل سوق الانبتة او عروقها . وانواعها كثيرة وكلها من الحرشفية الاجنحة . ومن هذه الفصيلة ايضاً الجنس المعروف باسم الناقرة Cossus وهي من الرتبة المذكورة الساعية في الليل وترعى بطيطتها جذوع الاشجار وتسبب اضراراً فاحشة في اغلب الاحيان . ومن اشهر هذا الجنس الناقرة الآرضة Cossus ligniperda وهي كثيرة الوجود والخطر في البلاد المعتدلة بل والباردة ايضاً . طول بطيطتها ٣ سنتيمترات وهي لمّاعة بصاصة لونها يضرب الى الحمرة ويتصاعد منها رائحة كريهة . وهي تاوي الى اسفل الاشجار ولاسيما الى اشجار البلوط والدردار والصفصاف والغرب والحوّر تأكل لحاءها (اللحاء على ما في المخصص ١١ : ١٤ القشر الرقيق الذي يلي صميم العود) ولا تقاوم هذه الآفة مقاومة حسنة ذات نتيجة صادقة الاّ اذا اخذت الدويبة عند بلوغها حالة الفراشة وأُتلفت . وفي هذه الرتبة غير هذه الحشرات تعيش بطيطتها في الخشب

ومما يصدق عليه اسم القتع ايضاً دويبات يعيش دودها في الخشب والاشجار لكنها من رتبة الغشائية الاجنحة من ذلك « قاطعة الخشب Xylocopa » ولها في مؤخرها حمةٌ . وهي من فصيلة المسلات من سبط النحل ولا تكون الاّ في البلاد الحارة ولتصدّي للخشب وهي كبيرة القدّ لونها اسود او ضارب الى البنفسجي ولشفريها سنّ واحدة شديدة . والمثال الاعلى هو « قاطعة الخشب البنفسجية او النحلة ثاقبة الخشب » وتتخذ الاثي عُرْوَةً لها في الخشب العتيق . وتبتدئ به بان تحفر انبوباً على شكل عمود طويل ثم تتسعهُ بعد ذلك الى عدة مساكن وتدع فيها حواجز في عرضها تسوّيها مما تجنهُ من دقيق الخشب

والقتع ايضاً بعض افراد الدويبة المسماة بالشارة Sirex وهي من رتبة الغشائية الاجنحة الثواقب من حملة المناشير والمثال الاعلى لسبط الشارات Siricides ou Urocères وتشمل عدة انواع وكلها عظيمة القدّ وينتهي مُرْمها بشكل ذنب (المُرْم عند علماء الحشرات هو على ما قال ابن سيده في المخصص ٨ : ١٧٤ ما كان وراء الجوْشن من الجرادة وهو المسمى عند علماء الافرنج Abdomen) ولحطيطتها ست ارجل تعيش في الخشب القديم او الاشجار العادية لاسيما في الصنوبر وتحدث فيه اضراراً عظيمة والنوع الرئيس هو « الناشرة الجبّارة Sirex gigantus والناثا سوداء طولها ٣ سنتيمترات

ويُعدُّ من القتع ايضاً دويبات من رتبة الغشائية الاجنحة منها « القتع الحقيقي » Xylophage proprement dit

٤ السُّرفة بضمتين الارضة او النملة البيضاء وهي تلك الدويبة التي تبني لها بيتاً كالناووس

وهو مخروط من اعلاهُ الى اسفلهِ كأن زواياهُ قوّمت بخيط

وهي دويبة تعرف بالانكليزية باسم النملة البيضا white ant او termes وبالفرنسوية termès و termite او fourmi blanche وبلسان العلم Termes وقد تكلم عنها المقتطف مراراً عديدة · ولا سيما في ٩ : ٤٦٥ فانهُ قد عقد لها فصلاً استغرق ثلاث صفحات مع صورة تبيّن ابنية السرفة وتكلم عن مضارها في ٢٦ : ١٩٠ وها نحن ذا نقول هنا ما لم يجئ هناك

السرفة او الارضة او النملة البيضاء جنس من الدويبات من رتبة العصبيّة الاجنحة من فصيلة المنبسطة الاجنحة وهي تحوي دويبات صغيرة كثيرة الاضرار والاتلاف وتعيش عيشة النمل الاّ انها تختلف عنها بعض الاختلاف في امور جمة وهي تجتمع جماعات وطوائف عديدة تتألف من ذكور واناث وعاملة (وهذه تبقى في حالة الدعمُوصة) وجُند (وهي لا اجنحة لها ولقام للدفاع عن المسكن) ولهذه الدويبات مشافر قوية تستعين بها لثقب واكل ابنية الخشب وانواع الاثاث والكاغد والمقوّى والثياب والامتعة والجلود · و بعض انواع البلاد المحارة تبني بيوتها على اغصان الاشجار ومنها على الارض · و بيوت السرفة المحاربة Termes bellicosus تشبه الهرم المخروط · ويكون سمك الواحد منها من ثلاثة امتار الى اربعة وهو محكم البنيان · ومن انواع السرفة الارضة الرحّالة termite voyageur والارضة المشؤومة termite fatal والارضة المنكرة termite atroce والارضة العاثة T. mordant وغيرها وفي جنوبي اوربا وجنوبي فرنسة ترى السرفة المحاربة من النوع T. lucifuge لونها اسود لمّاع وهي تعيش في الغابات بل وامعنت في المدُن · وقد ذهب لسپس Lespès أن لهذا الصنف احد عشر نوعاً من الافراد · ويخرج من ذكورها واناثها الجند والعمال · وفيهِ ضربان من الافراد الولودة من ذكور واناث ضربٌ صغير القدّ وضرب اعظم منهُ قدّاً

والظاهر ان اصل موطن الارضة بلاد الهند الاّ أن المراكب البحرية وكثرة المسافرين وتنقل البضائع على اختلاف انواعها من محل الى محل ومن بلد الى بلد صارت سبباً لبثّها في بلاد الدنيا كلها جمعاء وتعيث السرفة في موانئ الاقاليم الغربية ولا سيما في بلاد افريقية وقد ارتأى كاترفاج Quatrefages ان احسن واسطة لاتلاف السرفة هو الكبور الغازي · الاّ انهُ الى هذا اليوم لم يعرف ما يوقف بهِ الخراب الذي تأتيهِ هذه الدويبة الخبيثة المفسدة المتلفة

السرفة بمعنى دودة القزّ بمعنى كل دودة تبني لها بيتاً لنفسها فتجعلهُ ناووساً لها او مسكناً تاوي اليهِ حيناً الى ان تسلخ فتطير منهُ · وهي بهذا المعنى يقابلها عند الافرنج chrysalide وعند الانكليز chrysalis وقد مرّ الكلام عنها بنوع مجمل في اوائل هذه

البذة وها نحن نعود الى البحث عوداً على بدء لا لغوياً اتماماً للفائدة

السرفة بهذا المعنى تطلق على حالة الدويبة التي هي وسط بين الدعموصة و بين الدويبة التامة الخلق وهي بهذا المعنى تسمى السُرُف ايضاً . وقد تسمى بهذا الاسم حالة الدويبة هذه اذا كانت بالاخص من الحرشفية الاجنحة او تسمى به عند انسلاخها الاول الذي تصير اليه بعد الدعموصة . في هذه الحالة تُرى الدويبة كانها ملتحفة بلحاف يخفيها كل الاخفاء عن الانظار وفي بعض الاحيان تشف من ورائه تقاطيع جسمها وتبقى ساكنة لا حراك فيها . وتكون بعض الأسراف (جمع سُرُف) او السُرَف (جمع سرفة) بهيئة حبة بيضية الشكل فتسميها حينئذٍ العامة « فاصولياء » وتكون اسراف فراش النهار متزوية كثيراً او قليلاً بخلاف أسراف الليل فانها تكون مدورة اسطوانية مخروطة . ولون أسراف النهار في الغالب لماع لمعان المعدن . ومن ذلك اسمها عند الافرنج aurélie او chrysalide اي المذهبة . ولون سائر الاسراف اسمر او اسود ويكون بعضها في غشاء من حرير ناعم يسمى صُلَّجة او قِيلَجة او شَرْنقة . ويكون بعضها عارياً من كل ثوب ومتعلقاً بطرفه الاسفل بواسطة نسيج من حرير (لفراش النهار) ويغور بعضها في الارض (لفراش ابي الغول) . وتعيث طائفة منها في الذراد وثياب الصوف وتتخذ لها ناووساً صغيراً من الشعر او الصوف الذي تكون فيه وتقيم في ذلك الناووس الى ان يتم انسلاخها . وهذه الدويبات تبقى سرُفاً زمناً طويلاً وقصيراً بموجب اختلاف فصول السنة او بموجب اختلاف انواعها فاذا حان فقسها فرّت الفراشة من شق تشقهُ في ظهرها وطارت الى حيث شاءت

خاتمة

قد رأيت ان السرفة وردت عند العرب باربعة معانٍ والعلماء اذا ارادوا النطق بلفظة لا يحبون ان تجيء اللفظة الاّ بمعنىً واحد خوفاً من اللبس . ولهذا نعرض على اهل هذا العلم علم الحشرات وعلم الحيوان ان يخصُّوا كلمة السُرْفة بمعنى chenille لان اول معرفة العرب لهذا الحرف كان بهذا المعنى الاصلي القديم . وان يجعلوا لكلمة xylophage الافرنجية لفظة القتع العربية وان يطلقوا الأرضة على النملة البيضاء اي termite لان الأرضة في مصر والسودان و بلاد العرب وعندنا في العراق و بلاد الترك لا تعني الاّ هذه الدويبة . واما كلمة cocon اوcoque فهي الصُلَّجة او القيلجة او الشرْنقة . وبهذا التخصيص يؤمن اللبس وتجلى الحقيقة بمظهرها وينتفي الاضطراب في التعبير وتصلح اللغة ويتقوّم اللسان . وربك فوق كل ذي علم عليم

امكج